

ولقد وفدت عليه هوازن وهي مهزومة في وقعة حنين وفيها عم له من الرضاعة . . لأجل هذا العم من الرضاعة تشفع النبي إلى المسلمين أن يردوا السبي من نساء وأبناء ، واشترى السبي ممن أبوا رده إلا بمال .

وحضنته في طفولته جارية عجماء فلم ينس لها مودتها بقية حياته ، وشغله أن تنعم بالحياة الزوجية ما يشغل الأب عن أمر بناته ورحمه ، فقال لأصحابه : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن . . وما زال يناديها يا أمة كلما رآها وتحدث إليها ، وربما رآها في وقعة قتال تدعو الله وهي لا تدري كيف تدعو ولكنها الأعجمية ، فلا تنسيه الوقعة الحازبة أن يصغى إليها ويعطف عليها .

* * *

وكان هذا عطفه على كل ضعيف ولو لم يذكره بحنان الطفولة ورحم الرضاع . فما نهر خادما ولا ضرب أحدا ، وقال أنس : « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ . . ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ . . » .

وكان من أضحك الناس وأطيبهم نفسا ، صافى القلب إذا كره شيئا رؤى ذلك في وجهه ، وإذا رضى عرف من حوله رضاه .

وقد اتسع عطفه حتى بسطه للأحياء كافة ولم يقصره على ذوى الرحم من الناس ولا على الناس من غير ذوى الرحم . فكان يصغى الإماء للهرة لتشرب ، وكان يواسى في موت طائر يلهو به أخو خادمه ، وأوصى المسلمين « إذا ركبت هذه الدواب فأعطوها حظها من المنازل ولا تكونوا عليها شياطين » وكرر الوصاة بها أن « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها سالحة وكلوها سالحة » .

وقال : « إن الله غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قد كاد يقتله العطش ، فتزعت خفها فأوثقته بخارها ، فتزعت له من الماء فغفر لها بذلك » . .

وقال في هذا المعنى : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » .